السياحة الدينية والمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المشهد الكاظمي انموذجاً

A model of religious culture and economic and social variables, Al-Mashhad Al-Kazemi

صلاح مهدي صالح أ.م.د سعد محمد علي

By: Salah Mahdi salh D.r Saad Muhammad Ali

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

Al-Mustansiriya University/ College of Arts/ Department of Anthropology and Sociology

Salah45@gmail.com

الملخص

يزخر العراق وبشكل ملفت للنظر بالمراقد الدينية حيث يعد موطناً لكثير من الديانات ولكل ديانة معابدها واثارها التي تعتز بها، بالأضافة الى مزارات المسلمين اذ ان العراق يتبوأ مكانه مرموقة بين الدول الاسلامية إذ يضم بين جنباتهِ رفاه الائمة الاطهار واهل البيت عليهم السلام والصحابة والصالحين (عليهم السلام اجمعين)، وفي ضوء ذلك يتوافد الزوار سنوياً الى العراق لأحياء المناسبات الدينية ولزيارة المراقد الدينية المنتشرة فيه، حيث أن من الملاحظ ان اعداد السياح الوافدين لغرض السياحة الدينية قد شهد ارتفاع كبير خلال السنوات القليلة الماضية والسبب في ذلك ان السياحة الدينية في نشاطها ونموها لا تحتاج الى جهود دعائية أو أعلام لبث روح الرغبة والاقناع والاطمئنان النفسي الذي يشعر بهِ السائح عندما يأتي للاماكن المقدسة, فالسياحة الدينية تهتم بأشباع حاجات البشر الروحي هذا الشعور الأزلي منذ العصور القديمة عندما كان البشر يمارسون على مختلف

دياناتهم زيارة الاماكن المقدسة حتى وقتنا الحاضر الامر الذي جعل هذهِ السياحة مصدراً مهماً أقتصادياً واجتماعياً وثقافياً تطورت من خلاله المدن.

Abstract

Iraq is strikingly rich in religious shrines, as it is home to many religions, and each religion has its own temples and monuments that it is proud of, in addition to the shrines of Muslims, as Iraq occupies a prestigious position among Islamic countries, as it includes within its borders the well-being of the pure imams, the family of the Prophet, peace be upon them, the companions and the righteous (peace be upon them all). In light of this, visitors flock to Iraq annually to celebrate religious occasions and visit the religious shrines spread throughout it, as it is noticeable that the number of tourists coming for the purpose of religious tourism has witnessed a significant increase during the past few years, and the reason for this is that religious tourism in its activity and growth does not need advertising efforts or media to spread the spirit of desire, persuasion and psychological reassurance that the tourist feels when he comes to the holy places, as religious tourism is concerned with satisfying the spiritual needs of people, this eternal feeling since ancient times when people of different religions practiced visiting holy places until the present time, which made this tourism an important economic, social and cultural source that has developed from During which cities.

المقدمة

اصبحت السياحة الدينية في الوقت الحاضر من الانشطة الحيوية الهامة التي تساعد في زيادة دخل الدولة من العملات الاجنبية ومن ثم نمو في الناتج المحلي الاجمالي والذي يؤثر بدوره على عمليات التنمية الاقتصادية

والبشرية، ومن خلال دور هذه العائدات في تمويل وتنفيذ المشاريع الاستثمارية في مختلف المجالات، كذلك يسهم تنشيط القطاع السياحي في زيادة تحقيق فرص عمل جديدة وزيادة الانتاجية، فضلاً عن كونها الوسيلة التي يرى فيها الزائر التقدم الحاصل في البلد والتعرف على حضاراتها على مدى العصور القديمة.

من جهة اخرى يُعدّ هذا النشاط وسيلة لتنشيط القطاعات الاقتصادية الاخرى المتعلقة به لكثرة تشعباته وتأثيره على كل من الدخل والاستخدام وتحقيق فرص عمل جديدة وما لذلك من اثر واهمية بالغة في توسيع وتنشيط اسواق جديدة للصناعات المحلية.

نظراً للأهمية الاستثنائية للسياحة الدينية، تعتبر المدن التي تظم مراقد الائمة الاطهار (عليهم السلام) من المراكز الدينية المهمة التي تستقطب الزائرين من مختلف ارجاء العالم الاسلامي والعربي مما يجعل السياحة الدينية الاكثر في المحافظات الدينية على الرغم من وجود المقومات السياحية الاخرى الحضارية والتراثية والتاريخية في كل مدينة من هذه المدن، إذ يؤم العراق على مدار السنة مئات الالاف ومن مختلف البلاد الاسلامية والعربية لزيارة المشاهد المقدسة يحدوهم الى ذلك الشوق ويدفعهم لتحمل اعباء السفر الحب والولاء لأهل بيت النبي محمد(ص).

اولاً: نشأة السياحة

السياحة بدأت منذ نشوء الانسان وكانت بسيطة وبدائية في مظهرها ووسائلها واهدافها واسبابها وكان الغرض منها ممارسه النشاطات اللازمة للحياة مثل البحث عن الطعام والشراب او الصيد او المسكن او البحث عن حشود بشريه معينه لغرض اجتماعي.

فتاريخ السياحة يصعب تحديده لان السياحة عاصرت الانسان منذ ان خلقها الله على وجه الارض فهو بحاجه الى التنقل بحثا عن الاكل والشرب وغيرها من المتطلبات الخاصة كما تعكس السياحة في البلدان المتقدمة ودول العالم الاخرى مدى التطور الاجتماعي والعلمي والحضاري للشعوب وذلك لان لها ابعاد سياسيه واقتصاديه واجتماعيه وثقافيه وهي كذلك ظاهرة انسانيه تتسم بالحركة وتقترن بالعالم الخارجي وبالمجتمع المحلي داخل نطاق الدولة، وقد اصبحت السياحة في عصرنا القائم غذاء الروح ووسيله للترفيه عن النفس لكل انسان ويعد القرن العشرون هو

مرحله انطلاقه السياحة اما القرن الحادي والعشرون فهو قرن صناعه السياحة بمفهومات بمفهومها الحديث وقد اصبحت السياحة وسيلة الاتصال الفكري والثقافي والاجتماعي بين الشعوب المتنوعة بطريقه تتخللها روح التفاهم والمحبة والتسامح والسلام ويعد هذا الحقل الذي يضم (النقل، السكن، والبرامج السياحية، البنى التحتية) ومن اكبر الصناعات في العالم حيث يتفوق استراتيجياً على حقول النفط وحقول الغاز المتضائلة والتي تمارس دوراً كبيراً في التغيرات المناخية وفي ارتفاع درجات الحرارة وتلوث البيئة على الكرة الارضية (الياس، ٢٠٠٢، ص٢٨).

ان الانسان منذ بداية نشأته الاولى قد مارس التنقل تحقيقاً لا هداف الحياه ومعيشته وعلى الرغم من ان حركه التنقل في فجر التاريخ كانت بسيطة وبدائية في مظهرها ووسائلها واهدافها الا ان الانسان قد عرف ظاهره السياحة ومارسها منذ ذلك الوقت حيث كان الانسان يتنقل من مكان الى مكان اخر مشياً على الاقدام ثم بعد ذلك استخدمت الدوابّ مثل الجمال والحمير والبغال في تنقلاته ثم يعود بعد ذلك عرف كيف يستغل الصحاري واعالي البحار والانهار والغابات الواسعة وسفوح الجبال وبعد الحرب العالمية الثانية وما حدوث الاستقرار والتوازن النسبي الذي ساد العالم اصبحت السياحة في نمو وتطور مستمر كما اصبحت لها قواعد واساس واسس وتشريعات وعلاقات دوليه وقد اهتمت بها الدول بوصفها قطاعا رائدا يدخل في جميع المراحل العملية التنموية يؤثر في كل القطاعات الاخرى داخل الدولة وقد اصبحت الان علما يدرس في الجامعات والمعاهد ولها نظريات متباينة ومختلفة ويرتبط علم السياحة ايضا بالعلوم الاخرى مثل علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم البيئة وعلم الاثار[١].

ثانياً: مدينة الكاظمية المقدسة

اصل تسمية الكاظمية: دفن فيها الامام موسى الكاظم سنة ١٨٣هـ وبعده بعدة سنين دفن حفيده الامام محمد الجواد سنة (٢١٩هـ)، المشهد الكاظمي أحد العروض السياحية الدينية الأساسية في مدينة بغداد ويعد من أشهر المراقد الموجودة في هذه المدينة نظراً للأعداد الكبيرة من الزوار الوافدين إليه من داخل القطر وخارجه في كل يوم، فضلاً عن أن المشهد الكاظمي يقع في مدينة بغداد العاصمة وهذا ما جعله مصدر جذب سياحي ديني مهم، يقع المشهد الكاظمي في الشمال الغربي من مدينة بغداد في جانب الكرخ، ويشمل هذا المشهد مرقدي الإمامين موسى

بن جعفر ومحمد بن علي الجواد (عليهما السلام)، نسبت المدينة الى الامام الكاظم (عليه السلام) وكنيته فسميت الكاظمية وتارة تسمى الكاظمين للإشارة للإمامين وبهذا اصبح قبري الامامين بمثابة نواة قطب وجذب بشرى فلقد كان المرقد قبلة للزائرين والقادمين الى موضعهما فقسم من آثر البقاء والمكوث عندهما للتبرك ولخدمة الزوار واخرين اتخذوا من مهنة دفن الموتى حرفة ووسيلة للعيش فقرروا السكن عندهم (الانصاري، ٢٠٠٨، ص٢٣).

استمدت مدينة الكاظمية خصائصها التخطيطية والعمرانية من المبادئ والقيم الاسلامية فقد تأسست المدينة بعد انشاء المرقد الكاظمي الذي كان يمثل مركز المدينة ونواتها واساسها الوظيفي، فكان يصب باتجاهه كل شيء وينطلق منه كل شيء، يعد ذلك مبدأ من مبادئ انشاء المدن الاسلامية وتخطيطها حيث يتأسس المرقد او الجامع اولا وتنطلق منه المدينة، تنطلق من ابواب المرقد الاسواق التي تمتد شريطيا الى اطراف المدينة وتمتاز بكونها حيزاً للإنتاج الحرفي والنشاط التجاري، وتحوي على معالجات مناخية ملائمة وبأنها تعتمد على المقياس الانساني في تخطيطها وهي تمتد حتى ابواب المرقد ويحيط بالمرقد الابنية والفعاليات الدينية والتجارية والسكنية (استعمال مختلط) احتفظت مدينة الكاظمية بشكلها الفيزياوي نسبياً مقابل التغير الذي حصل في اجزاء مدينة بغداد التاريخية الاخرى وتعد المدينة افضل ما موجود من المدن التاريخية في بغداد وهي مدينة دائرية الشكل، وتتكاثف فيها المباني حول المرقد والاسواق شعاعية وأزقتها متعرجة وملتوية تحيط بها مناطق حديثة ذات شوارع عريضة وتنتشر حولها البساتين وتحوي على مساحة واسعة من الدور السكنية التقليدية المنسجمة مع بعضها حجما وتكوينا يبرز في وسطها بشكل صارخ ومميز كتلة المرقد الكاظمي بقبابه الذهبية ومنائره التاريخية مما يعزز وجود هذا الكيان المعماري ويفرض هيمنته على المنطقة ويعزز مكانته الدينية، كما تمتاز مدينة الكاظمية بتخطيطها المتراص حيث تتراص الابنية وتتماسك اذ تترابط الازقة وتتداخل، يمتاز هذا النسيج الحضري المتضام بكفاءته المناخية والبيئية وتجاوبه للتقاليد والقيم الاسلامية ويحقق كثافات سكانية عالية فضلا عن تحقيق مبدأ الخصوصية لساكني المنطقة وزيادة التفاعل الاجتماعي بينهم كما يؤكد اهمية المرقد وهيمنته (سليم، ٢٠٠٥، ص٣٣.).

ثالثاً: الانعكاسات الاقتصادية للسياحة في بغداد

تعد السياحة من أبرز الأنشطة الاقتصادية في عالمنا المعاصر، اذا تمثل احدى المكونات الاقتصادية الهامة في اقتصاديات العديد من دول العالم على وجه العموم وعلى العراق بوجه خاص، بسبب أثارها الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية والبيئية فقد أصبحت محركاً أساسياً للتنمية في الكثير من دول العالم، ومن أهم الظواهر المميزة لعصرنا نظراً لما تتمتع به من آثار في جوانب عديدة ومنها (خليل، ٢٠١٠، ص٦٦).

١- **أثر السياحة في ميزان المدفوعات:** تماس أهمية السياحة ومدى مساهمتها في التأثير على ميزان المدفوعات عن طريق مساهمتها في توفير مقدار كبير من العملات الأجنبية للبلد، في هذا الجانب يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار إجراء الموازنة بين العائد من العملات الصعبة المتحققة للبلد بواسطة السياح الوافدين سنوياً وبين ما يتم اتفاقه من العملات الصعبة من قبل البلد على استيراد وشراء مستلزمات الانتاج المستخدمة من قبل المنشآت والمؤسسات السياحية ومعرفة حصيلة الفارق أيكون عجزاً ام فائضاً، ويمكن تعريف الميزان السياحي بانه الفرق بين ما ينفقه السياح الأجانب داخل الدولة وما ينفقه السياح من مواطني الدولة خارج دولتهم، إن الميزان السياحي يشكل جزاً من الصادرات غير المنظورة ويؤثر تأثيراً مباشراً بالقيمة الصافية للميزان السياحي ونسبتها إلى القيمة الصافية للميزان التجاري فإذا كان الميزان السياحي ايجابياً فانه سوف يقلل من العجز الذي يعاني منه الميزان التجاري، اما اذا كان الميزان السياحي والتجاري ايجابي فسوف يكون تأثيرهما إيجابياً ايضاً على ميزان المدفوعات ويتوقف دور السياحة في الميزان التجاري على عدة متغيرات منها:

أ- الاستقرار الاقتصادي الذي هو نابع من الاستقرار السياسي والمتمثل بالوضع الأمني في البلد والبلدان المجاورة

ب- حجم الدخل السياحي ونصيب الدولة منه والنسبة المئوية للدخل السياحي الى اجمالي الدخل القومي، اذ يلعب الميزان السياحي دوراً كبيراً في تحديد هل الميزان التجاري بين الدولة وغيرها من دول العالم في صالحها أم في غير صالحها.

ج- مدى استقرار الدخل السياحي الذي يتوقف على طبيعية الموارد السياحية المنافسة في دول العرض السياحي وطبيعة الموقع الجغرافي للدولة ومدى قربها من الأسواق الرئيسية المصدرة للسياح أي دول الطلب السياحي، (حسن، ٢٠٠٨، ص٣١.).

٢- **أثر السياحة في العمالة:** يعتمد النشاط السياحي بدرجة كبيرة على عنصر العمل كونه نشاط خدمي يصعب فيه احلال الآلة محل عنصر العمل إلا في حدود ضيقة، إذ إن اجراءات وخطوات تقديم الخدمات السياحية تعتمد بالدرجة الأولى على اليد العاملة، ويتطلب العمل في القطاع السياحي جملة من الصفات التي يتحلى بها الفرد منها:

أ- أن يكون الفرد على مستوى رفيع من الناحية المهنية والسلوكية والمظهر اللائق مع اجادة لغة اجنبية واحدة على الأقل .

ب- تمتع الفرد بوفرة من المعلومات العامة والثقافة القومية اضافة الى قناعته بممارسة العمل في المجال السياحي .

ت- التحلي بالصبر والتعاطف مع الآخرين، والقدرة في التعامل مع بعض المواقف التي تواجهه من خلال التعليم والتدريب ومن ثم اتخاذ القرار .

ث- القدرة على التكيف مع العمل السياحي والفندقي والذي يكون بصورة عمل فريق فعمل كل فرد يكمله عمل الفرد الآخر، فخدمات الإيواء السياحي والفنادق تكمل عمل شركات السياحة والسفر، كما تتولد فرص العمل في السياحة من خلال طريقتين هما :

أ. الطريقة المباشرة: تشمل فرص العمل في الأنشطة السياحية التي تكون القطاع السياحي نفسه مثل الفنادق والمطاعم وشركات السياحة والسفر وجميع المنشآت السياحية.

ب. الطريقة غير المباشرة : تمثل فرص العمل المتولدة في القطاعات الاقتصادية الأخرى العائدة للقطاع السياحي مثل الزراعة والصناعة والنقل وغيرها حيث امتدادات الطلب السياحي إلى بقية القطاعات الاقتصادية (علام، ٢٠٠٧، ص٧٤.) .

لذا فان السياحة تساهم في توفير فرص العمل وبالتالي التخفيف من مشكلة البطالة ويزداد توفير هذه الفرص مع زيادة الاستثمارات السياحية ولكي يكون هناك دور للسياحة في تحديد حجم ونوعية القوى العاملة لابد من بيان ذلك فيما يأتي :

أ- حجم رأس المال المستثمر في قطاع السياحة الذي يوفر فرص عمل جديدة في هذا القطاع وفي الخدمات القائمة عليه.

ب- نوعية فرص العمل التي توفرها السياحة والتي تتباين بين العمالة الماهرة وغير الماهرة وأصحاب الكفاءات والخبرات.

ج – نوعية الخبرات المتوفرة في الدولة السياحية ومستوى أدائها .

د – التغير الذي تحدثه العمالة في الخريطة الوطنية للقوى العاملة وتوزيعها على الانشطة الاقتصادية والخدمات المختلفة.

هـ – عدد العاملين الفعليين في صناعة النقل والسفر لارتباطهما الوثيق بأنشطة السياحة ..

و- زيادة فرص العمل للمزارعين للتأمين المواد الغذائية والحرفيين من خلال عرض الوسائل الترفيه التي تدل على التراث السياحي، اذ يلعب قطاع السياحة دوراً هاماً في عملية التنمية الاقتصادية وجذب الاستثمارات وخلق فرص عمل للعاملين وتوفير العملات الصعبة، كما تساهم السياحة حالها حال قطاعات اخرى في دعم الميزانية العامة للدولة وتأخذ هذه المساهمة اشكال معينة بعضها مباشر على القطاع السياحي نفسه وتنضوي تحت بند الرسوم كتأشيرات سمات المدخول والرسوم والاجور المتأتية من انشاء او عمل تغيير في المرافق السياحية او الرسوم السنوية المفروضة على المرفق او من خلال انواع الضرائب المختلفة والمفروضة على المستثمرين اصحاب المرفق السياحي والعاملين فيه والآخر غير مباشر والتي تأتي من تأثيراتها في تشغيل قطاعات اخرى كالنقل والطلب الحاصل على المواد الاستهلاكية بسبب نشاط السائح

كالمأكولات والملبوسات واصحاب الحرف التراثية ومحلات الهدايا وخدمات الاتصالات والخدمات المصرفية والتي ستسهم بزيادة الموازنة العامة للبلد من خلال زيادة مقدار الضرائب المختلفة والرسوم والاجور المستحصلة من هذه القطاعات نتيجة الطلب غير المباشر او غير المتوقع والحاصل بسبب طلب او استهلاك هذه الخدمات او المنتوجات من قبل السياح بفعل عملية النشاط السياحي (مصطفى، ٢٠٠٩، ص٧٧).

رابعاً: التأثير الاجتماعي على واقع السياحة

عرفنا أن ما يميز السياحة عن القطاعات الأخرى، هو وجود الإنسان كمحور أساسي في العملية السياحية، سواء أكان سائحا يغادر مجتمعة الذي له مستواه وعاداته وأفكاره ومفاهيمه، أم مواطنا يستقبل ذلك السائح بشكل ما يعيش فيه من مظاهر مختلفة كثيراً أو قليلاً عن السائح، وبما أن السياحة تطورت إلى المستوى الجماهيري في العقود الأخيرة؛ وبعد حجم السياح مئات الملايين الذين يجوبون القارات الخمس ويتقابلون ويتجاورون مع بعضهم البعض ومع السكان المضيفين، فقد حدثت وبرزت تأثيرات اجتماعية إيجابية في المجتمعات بدرجات متفاوتة، ويرى البعض أن السياحة لها تأثيرات مهمة في المجتمع ومنها (خربوطلي، ٢٠٠٢، ص٢٢٢) :

أ. تشغيل أكبر قدر ممكن من العمالة وهذا هدف اقتصادي اجتماعي في الوقت نفسه؛ لأن البطالة تترتب عليها مساوئ كثيرة من الجرائم والانحرافات ذات الأسباب المادية والتأثير الاجتماعي، فالقضاء على البطالة يحقق أهداف التنمية الاقتصادية.

ب. ارتفاع مستوى المعيشة عندما يزيد الدخل الفردي وبالتالي يرتفع الدخل القومي، فيرتفع

مستوى المعيشة، عندها يتم تحقيق الاستقرار الإجتماعي.

ج. إسهام قطاع السياحة في تحقيق التقدم وذلك عن طريق تحقيق التواصل بين الحضارات

من خلال الإحتكاك بالأجانب)

(إن من الوظائف المهمة التي تؤديها السياحة أنها رسول إلى التعارف الذي يوصل إلى الألفة، ومن الألفة تكون الصداقة والصداقة هي ثقة متبادلة تلد الحب، وعندما تجتمع الصداقة والحب والثقة تتكون المحبة بين الناس ويتحقق السلام بين الشعوب، وهو طريق السلام ونبع المحبة كما قال السيد المسيح عليه السلام وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة وهذه هي السياحة من الناحية الإنسانية والاجتماعية)، نرى من كل ما تقدم أن السياحة رغم كونها عاملاً رئيساً للتنمية الاقتصادية ومصدراً لدخول العملة الصعبة بل إنها تسهم في جميع القطاعات الأخرى بخاصة في البلدان النامية ومن أمثلة ذلك العراق وسورية ولبنان وتؤثر السياحة في البيئة كون السائح

يعتبر صديقا لها من خلال وجوده في الفنادق حيث لا توجد سياحة بفقدها وتعد السياحة دافعا فاعلا للانتعاش الاقتصادي للبلد ومن خلالها إيجاد فرص العمل للطبقات الضعيفة. ونتيجة لذلك من خلال اتصال أفراد المجتمعات ببعضها، والتعرف على ثقافات الشعوب التي تكون عاملاً رئيساً في التعايش والوحدة بين الطوائف، على اختلاف معتقداتهم وانتماءاتهم (الحسن، ١٩٧٣،ص ٩).

المتغيرات الاجتماعية

للمتغيرات الاجتماعية أهمية كبيرة وفعالة في تنمية السياحة الدينية، وتتجسد هذه الأهمية من خلال الإطلاع على القيم والعادات والطبقات الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والجماعات المرجعية السائدة في أي بلد كان، وكيفية تأثيرها في سلوك الأفراد، وبالتالي تدفعهم للقيام لممارسة أنشطة السياحية الدينية مثل زيارة المراقد المقدسة في العراق وبشكل خاص منطقة الدراسة الكاظمية ولكل متغير من المتغيرات الاجتماعية دور واضح ومؤثر في سلوك الزائرين للمراقد المقدسة، ويتعلق هذا الدور في كيفية التأثير على الزائرين ودفعهم من أجل القيام بزيارة مناطق الجذب السياحي الديني المتمثلة بمراقد الأئمة والأصحاب الميامين وهناك عدة متغيرات اجتماعية تؤثر في حركة السياحة الدينية، وسوف يركز الباحث على أهمها وهي كالآتي: (الطبقة الاجتماعية، التنشئة الاجتماعية، الجماعة المرجعية، القيم الاجتماعية) (مان، ١٩٨٨، ص٩٩).

١. الطبقة الاجتماعية

إن لكل مجتمع معين طبقات اجتماعية حيث تتميز كل طبقة من الطبقات عن غيرها من حيث القيم والعادات والأخلاق والمواقف والممارسات، وتعرف الطبقة الاجتماعية بأنها تقسيمات متجانسة وثابتة نسبياً في مجتمع ما وتكون مرتبة هرمياً ويشترك أعضاؤها بقيم ومصالح وسلوكيات متشابهة، ولا تعكس هذه الطبقات الاجتماعية الدخل فقط، وإنما بعض المؤثرات الأخرى مثل المنصب الوظيفي والتحصيل الدراسي ومكان الإقامة ..... الخ (Philip, 1997.p.206.).

تختلف هذه الطبقات بلباسها وأساليبها وتفضيلاتها السياحية وبعض الخصائص الأخرى، كما تمثل الطبقة الاجتماعية مجموعة من الأفراد وهذه المجموعة تتميز عن غيرها باختلاف المستوى الاجتماعي الذي يتحدد

بالعوامل المذكورة سلفاً، ومن الجدير بالذكر أن ممارسة الفعاليات السياحية المختلفة كانت مقتصرة سابقاً على الطبقات الغنية والمترفة بسبب إمكانياتها المادية التي تسمح لها بمزاولة مثل هذه الأنشطة السياحية بحيث أصبح النشاط السياحي لديهم سمة وصفة مميزة الممارسة النشاطات السياحية المختلفة لهذه الطبقات (الحسن ا.، ١٩٧٥، ص١٠٨.).

وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن الطبقة الاجتماعية لها تأثير واضح ومباشر على سلوكيات الأفراد الذين ينتمون اليها، فهي تعطيهم الحرية في مزاولة آية فعالية من الفعاليات السياحية الدينية الإسلامية مثل أداء مناسك الزيارة في مراقد الأئمة الأطهار إذا كانت تلك الفعالية متوافقة مع تلك الطبقة أو تعد من القيم الممارسات التي تمارسها هذه الطبقة أو تلك وكذلك هذه الطبقة قد تمنع أفرادها من مزاولة بعض الفعاليات السياحية الدينية إذا كانت تعد تلك الفعالية ليس من قيمها وممارساتها وبالتالي فإن الطبقة الاجتماعية تكون ذات تأثير كبير في تنمية السياحة الدينية الإسلامية وهذا ما نراه جلياً عند القاء نظرة فاحصة على زوار العتبات المقدسة حيث نجد أن الزوار ينقسمون بحكم مجتمعهم عدة طبقات وهذه الطبقات تبدو واضحة ووضوحها منعكس من خلال عدة أمور من ضمنها مثلاً الدخل حيث نجد أن مجموعة من الزوار ينتمون إلى الطبقة المترفة وهناك مجموعة أخرى من الزوار ينتمون الى الطبقة المتوسطة ومجموعة ثالثة من الزوار تنتمي إلى الطبقة العاملة وكذلك الحال بالنسبة إلى مكان الإقامة، فنجد أن هناك مجموعة من الزوار من سكنة محافظة بغداد والمحافظات الوسطى ومجموعة أخرى من الزوار من سكنة المحافظات الجنوبية ومجموعة ثالثة من الزوار من سكنة المحافظات الشمالية (زهران، ١٩٨٤، ص٢٤٣.) .

٢. التنشئة الاجتماعية

تمثل التنشئة الاجتماعية عملية تلقين الفرد قيم مجتمعه ومقاييس ومفاهيم بحيث يصبح متدرباً على إشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي، ومنه كيفية مزاولة النشاط السياحي الديني وتمر عملية التنشئة بعدة مراحل أولاها وأساسها العائلة مروراً بالمدرسة والأصدقاء والجامعة وغيرها، بحيث تعد التنشئة مجموعة من القواعد والقيم الاجتماعية والتربوية التي يكتسبها الفرد منذ ولادته ومن خلال مروره بالمراحل المذكورة سلفاً بحيث يستطيع من خلالها إكتساب مهارة وخبرة يومية، وتعد هذه المراحل مؤسسات إجتماعية كالعائلة والمدرسة والأصدقاء

وجميعها مهمة وأساسية في عملية التنشئة حيث تعطي لكل فرد من الأفراد مقاييساً معينة تختلف من جيل إلى آخر بحيث تؤدي إلى اختلاف أنماط النشاط السياحي، وهذه القواعد والقيم الاجتماعية لا تولد مع الإنسان ولكنها تنمو بمرور الزمن عندما يشارك الآخرين تجارب حياة المجتمع، وتستند عملية التنشئة على عملية التعلم إذ يتعلم الفرد كيف يتصرف كعضو في مجتمعه، ونلاحظ مما تقدم أن للتنشئة الاجتماعية دوراً مهماً في حركة السياحة الدينية من خلال تأثيرها في أفراد المجتمع من حيث أعطاؤهم القيم والمفاهيم الخاصة بالمجتمع الذي يعيشون فيه والمجتمع العراقي هو مجتمع مسلم وبالتالي فهو يحث على الاتصال والتواصل مع الله عز وجل بشتى الوسائل ومنها زيارة العتبات المقدسة، بالإضافة إلى أن أماكن العبادة المتمثلة بالجوامع والمساجد والمراكز الدينية تلعب دوراً كبيراً في عملية التنشئة الاجتماعية حيث تقوم تلك الأماكن بتنقية فكر البشر وتطهير قلوبهم وإيقاظ ضمائرهم بما يتلى عليهم من آيات الذكر الحكيم وما يتدارسون من القرآن والسنة وبالتالي تقوم تلك الأماكن بتعليم الناس شعائرهم الدينية ومن هذه الشعائر زيارة مراقد الأنبياء والأئمة والأصحاب الأبرار، وللتنشئة تأثير كبير في النشاط السياحي الديني وذلك أن مجموعة كبيرة من الزوار يصطحبون معهم أطفالهم في الزيارة من أجل ترسيخ مفهوم زيارة المراقد المقدسة هذا من جهة، ومن جهة أخرى من أجل أن يتمرسوا على أداء مناسك الزيارة وبالتالي يصبح لهذه التنشئة دور مهم وفعال في زيارة العتبات المقدسة في العراق (دنكن، ١٩٨٠، ص٣٢٨.).

٣. الجماعة المرجعية

إن الجماعة المرجعية هي تلك التي يرجع اليها الفرد في تقييم سلوكه الاجتماعي التي يربط نفسه بها أو يأمل أن يرتبط بها نفسياً واجتماعية، يستمد الفرد اتجاهاته وقيمه ومعايير سلوكه من الجماعة التي ينتمي اليها أو يرغب أن ينتمي اليها التي عادة ما تكون أكثر إشباعا لحاجاته (دسوقي، ١٩٦٩، ص١٣٩.).

إن لهذه الجماعات دوراً مؤثراً وكبيراً في بناء السلوك الاجتماعي والسياحي بشكل خاص لا أنها تزرع في نفس الفرد قيماً إيجابية أو سلبية أزاء الانشطة التي يمارسها يومياً ومنها السياحية، ويتأثر بالجماعة التي تنتمي اليها وكذلك بأفرادها وعليه فالجماعة المرجعية تلعب دوراً هاماً في بناء سلوكية الفرد وتصرفاته وثقافته وتحدد دوره ومركزه الاجتماعي وكذلك تشكل سلوكه واتجاهاته وميله في اختيار نوع النشاط السياحي وتحدد أيضاً المكان والزمان المناسبين وتوجيهه نحو السلوك الملائم لممارسة تلك الانشطة لذلك يكون لها تأثير فعال في سلوك الأفراد

وولائهم لها والمشاركة لخدمتها والانصياع لقواعدها حتى يحققوا من خلالها ذواتهم وشخصياتهم ويعبروا عما في دواخلهم وفق معاير خاصة بالجماعة التي يتنمون إليها (البرزنجي، ٢٠٠١، ص٢٢،).

، وأصل الجماعة المرجعية فكرة مستمدة من الإسلام حيث أن المسلمين منذ عهد فجر الإسلام وحتى يومنا هذا يتأثرون بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته والسلف الصالح ويعدونهم جماعة مرجعية مؤثرة فيهم جداً من خلال تقييم سلوكهم وأخلاقياتهم ويحاولون أن يحذوا حذوهم في جمع الأمور ومنها زيارة مراقد الأولياء والصحابة كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزور قبر عمه الحمزة بالإضافة إلى أنه كان يزور قبور الشهداء في معركة بدر وأحد، ولهذا ومنذ ذلك الوقت أصبحت زيارة مرافد الأولياء والصالحين أحدى مستحبات الأعمال، وعلى هذا الأساس تلعب الجماعة المرجعية دوراً كبيراً ومؤثراً في حركة السياحة الدينية الإسلامية ذلك أن الزوار يتأثرون بشكل كبير بالجماعة المرجعية والتي بدورها تؤثر في سلوكية الأفراد المنتمين اليها وأخلاقيتهم تأثيراً واضحاً .

٤. القيم الاجتماعية

لكل مجتمع قيمه ومثله التي تتلائم مع بيئته ومعطياته الاجتماعية والاقتصادية والسياحية ومع درجة تقدمه الحضاري وضع روح العصر والمفاهيم التي يتمسك بها أبناؤه، وهذه القيم تختلف من مجتمع الآخر ومن فترة زمنية الأخرى في نفس المجتمع، وتعد القيم مجموعة من الديناميات التي توجه سلوك الفرد في حياته اليومية حيث يستخدمها في الحكم على الأحداث والأشياء مادية أكانت أم معنوية في مواقف التفضيل والاختيار وهذه القيم يستمدها الإنسان من المصادر القدسية الخاصة مثل الأديان والعقائد وتراث الأجداد والآباء بالإضافة إلى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع (حلبي، ١٩٨٩، ص١٣٢).

كذلك تعد الثقافة والمجتمع والشخصية من المصادر الأخرى للقيم الاجتماعية وأما الاتجاهات وأنماط السلوك فهما النتيجة المترتبة على تبني تلك القيم، والقيم الاجتماعية تمثل تصورات توضيحية من أجل توجيه السلوك في المواقف، وعلى هذا الأساس فإن القيم الاجتماعية تطلب دوراً أساسياً وفعالاً في حركة السياحة الدينية من حيث أن غالبية الشعب العراقي هم شعب مسلمون والشعب المسلم محتفظ بقيمة الإسلامية ومن هذه القيم زيارة العتبات المقدسة في العراق بصورة عامة والكاظمية بصورة خاصة، وكما هو معلوم أن هذه القيم مستمدة أساسا من الأديان والعقائد وغيرها، وبالتالي تؤدي تلك القيم إلى زيادة إقبال الزوار على زيارة المشاهد المقدسة حيث يواظبون

على زيارة الإمامين الكاظمين في كل يوم أربعاء من كل أسبوع وذلك لما له الاثر الروحي في نفسياتهم وتلبية لاحتياجاتهم المادية وغير المادية (حافظ، ٢٠٠٠، ص٢٢٨.).

الخاتمة

١. تمتاز السياحة الدينية عن غيرها من أنماط السياحة بأنها سياحة مستديمة أي انها مستمرة على طول أيام السنة بالرغم من أن الذروة السياحية التي تبلغ أمدها في ايام المناسبات الدينية إلا أن السياحة الدينية تعد مستمرة بالمقارنة مع غيرها من أنماط السياحة من خلال الأعداد الكبيرة للزوار الذين يصلون الى المشهد الكاظمي يومياً .
٢. تعد ايرادات السياحة الدينية مردودات إقتصادية مهمة لأي بلد من البلدان ويمكن الإستفادة منها من خلال آثار السياحة الدينية المباشرة وغير المباشرة .
٣. يعد المشهد الكاظمي من أشهر مراكز الجذب السياحية الدينية في مدينة بغداد بالرغم من أن هذه المدينة يوجد فيها عدد كبير من المراقد والمقامات الا انه يعد أشهرها لأنه يحوي قبرين لأئمة المسلمين هما موسى بن جعفر ومحمد بن علي عليهما السلام .
٤. تصل الى المشهد الكاظمي نسبة كبيرة جداً من الزوار قد تصل هذه النسبة الى الألاف الزائرين يومياً فضلاً عن أيام المناسبات الدينية وهو بذلك يعد من أكثر المراقد التي يصلها زوار بهذا العدد في مدينة بغداد سواء أكانوا من داخل العراق أم من خارجه .
٥. إن الطلب على السياحة الدينية لا يخضع لقانون المنفعة الحدية أي لا يصل الزائر مرحلة الإشباع من خلال تكرار زيارة المشاهد المقدسة وذلك لأن الطلب على هذا النوع من السياحة هو إستجابة للطلب الروحي الديني وبالتالي فلا يصل الزائر الى الإشباع عند تكرار الزيارة وهي بذلك تختلف عن أي نمط من أنماط السياحة الأخرى .

المراجع

Philip, k. (1997.p.206.). Marketing Mange ment, 9th edition,,. New York: hall of india private Limited, new delhe.

ابراهيم خليل. (٢٠١٠، ص٦٦). الجغرافية السياحية تطبيقات على الوطن العربي. عمان: مؤسسة الوراق للنشر، ط١.

احسان محمد الحسن. (١٩٧٥، ص١٠٨.). دراسات تحليلية في المجتمع المعاصر. بغداد: مطبعة دار السلام، ط١،.

احمد عبد السميع علام. (٢٠٠٧، ص٧٤.). علم الاقتصاد السياحي. مصر، الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١.

باري شوجر مان. (١٩٨٨، ص٩٩). علم الاجتماع، النظرية والمفهوم. الاسكندرية، مصر: مكتبة الجامعة الحديثة، ط٥.

جنان علي سليم. (٢٠٠٥، ص٣٣.). دور اعادة التطوير في ابراز ذروة المشهد الحضري لمدن العتبات المقدسة منطقة الدراسة ، مدينة الكاظمية. بغداد: المعهد الحضري والاقليمي.

حامد عبد السلام زهران. (١٩٨٤، ص٢٤٣.). علم النفس الاجتماعي. مصر: مطبعة عالم الكتب، ط٥.

حسن الحسن. (١٩٧٣،ص ٩). السياحة في لبنان. لبنان: مطبعة سليم.

رؤوف محمد الانصاري. (٢٠٠٨، ص٢٣). السياحة في العراق ودورها في التنمية والاعمار. بيروت: مطبعة هادي برس.

سراب الياس. (٢٠٠٢، ص٢٨). تسويق الخدمات السياحية. عمان: دار المسيرة للنشر.

سراب الياس وآخرون. (٢٠٠٢، ص٢٨). تسويق الخدمات السياحية. عمان: دار المسيرة للنشر، ط١.

صادق زينب مصطفى. (٢٠٠٩، ص٧٧). ادارة المكونات الاستراتيجية للسياحة وتاثيرها في سياحة المجاميع: دراسة تطبيقية في مجال السياحة الدينية في العراق. بغداد: كلية الادارة والاقتصاد, الجامعة المستنصرية.

صلاح الدين خربوطلي. (٢٠٠٢، ص٢٢٢). السياحة صناعة العصر، مكوناتها- ظواهرها- آفاقها. بيروت: دار حازم للنشر.

علي عبد الرزاق حلبي. (١٩٨٩، ص١٣٢). دراسات في المجتمع والثقافة الشخصية. مصر: مطبعة المعارف الجامعية.

غادة حسن. (٢٠٠٨، ص٣١.). اقتصاديات السياحة. مصر: دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر. ط١.

كمال دسوقي. (١٩٦٩، ص١٣٩.). دينامية الجماعة في الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي. مصر: المطبعة الفنية الحديثة، ط١، ج١.

مال كمال البرزنجي. (٢٠٠١، ص٢٢،). آ، اثر المتغيرات الاجتماعية في سلوكية السائح ، . بغداد: كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية قسم السياحة.

ميشيل دنكن. (١٩٨٠، ص٣٢٨.). معجم علم الاجتماع . بغداد: دار الرشيد للطباعة والنشر.

نبيل عبد الفتاح حافظ. (٢٠٠٠، ص٢٢٨.). علم النفس الاجتماعي . القاهرة: مطبعة زهراء الشرق.